الدلالةُ الصوتية في سورة مريمَ

Phonetic significance in Surat Maryam

أ.م.د. رفـــاه عبد الحسين مهدي الفتلاوي

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة العربية

Dr. Rafah Abdul Hussein Mahdi Alfatlawi
Karbala University

كلمات مفتاحية : الدلالة الصوتية/ تصاقب المعاني/ الفاصلة القرآنية/ التناغمُ الموسيقيُّ

ملخص البحث

كرّسَ هذا البحثُ جلّ اهتمامه على الدلالة الصوتية في سورة مريم المباركة واستنتج الباحث فيه مايلي أنّ القرآن الكريم بما يحويه من قصص وأحداث وشخصيات ما زال مشوّقاً يجذب النفوس ويأسر الألباب. وإنّ هناك تناسباً واضحاً بين الجانبين الصوتي والمعنوي بحيث لا يمكن لأية كلمة أنْ تحلّ مكان الأخرى. وقد ُعدُّ الموسيقي صورة من صور الإعجاز القرآني الواضح في أسلوبه المتميّز مؤدياً وظائف جمالية رفيعة كسورة مريم المباركة أنموذجا ، بدليل ان الفاصلة القرآنية جاءت في آيات سورة مريم المباركة للتعبير عن المعاني المختلفة التي تحويها السورة والمتمثّلة بقصة مريم وابنها المسيح (عليهما السلام) والقصص الأخرى ومنها قصة زكريا ويحيى وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس وآدم ونوح (عليهم السلام) ، والله من وراء القصد .

Abstract

This research has devoted most of its attention to the phonetic significance of Surat Maryam and the researcher concluded that the Holy Quran، including its stories، events and personalities، is still interesting and attracts souls and captivates the minds. There is a clear proportion between the phonetic and moral aspects so that no word can replace the other. The musical rhythm is a clear picture of the Qur›anic miracle in its distinctive style، performing high aesthetic functions such as the feast of the Blessed Mary، as evidence that the Quranic comma came in the verses of Surat Maryam to express the different meanings contained in the Sura، which is the story of Mary and her son Christ (peace be upon them) Including the story of Zechariah، Yahya، Isaac، Jacob، Moses، Aaron، Ismail، Idris، Adam and Noah (peace be upon them)، and God from behind the intent

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على الصادق الأمين إمام المؤمنين شفيع المسلمين وعلى آله أجمعين .

وبعدُ:

حاولت هذه الدراسة أن تكشف عن الدلالة الصوتية في القرآن الكريم وما تحمله من ايحاءات ودلالات متنوعة موضّحة قدراته الصوتية في الكشف والبيان والتأثير فكانت بعنوان (الدلالة الصوتية في سورة مريم) وتم اختيار هذه السورة من بين السور كلها ل فضَلها وخواصّها فقد ورد عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال :((من قرأ هذه السورة أعطي من الحسنات بعدد من ادعى لله ولدا سبحانه لا إله إلاّ هو ، وبعدد من صدّق زكريا ويحيى وعيسى وموسى وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السّلام وعدد من كذّب بهم ، ويبنى له في الجنة قصر أوسع من السماء والأرض في أعلى جنة الفردوس ، ويحشر مع المتقين في أول زمرة السابقين ، ولا يموت حتى يستغني هو وولده ، ويعطى في الجنة مثل ملك سليمان عليه السّلام ومن كتبها وعلّقها عليه لم ير في منامه إلاّ خيرا ، وإن كتبها في حائط البيت منعت طوارقه ، وحرست ما فيه وإن شربها الخائف أمن))[١] .

إذ جاء البحث بثلاث نقاط بحثية ممهدّاً لها بمفهوم الدلالة الصوتية ومن ثمّ عرض في النقطة الأولى منها : التكرار ،وفي الثانية الفاصلة القرآنية في حين كانت الثالثة بعنوان الصوتي تعقبها خاتمة بأبرز النتائج التي توصّل إليها البحث وقائمة بالمصادر والمراجع .

وأخيراً أحمد الله العلي القدير الذي وفّقني إلى اختيار هذا الموضوع، وأعانني على اتمامه فتوكّلت على من لا يخيب من دعاه فهو الآخذ بيدي إلى سواء السبيل إنه نعم المولى ونعم النصير .

مفهوم الدلالة الصوتية

هي ((ما تؤديه الأصوات المكوّنة للكلمة من دور في اظهار المعنى وذلك في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة ،سواء كانت هذه الأصوات صوامت أو حركات وتسمّى بالعناصر الصوتية الرئيسة التي يشكّل منها مجموع أصوات الكلمة التي ترمز إلى معنى معجمي كما تتحقّق الدلالة الصوتية كذلك من مجموع تأليف كلمات الجملة وطريقة أدائها الصوتي ومظاهر هذا الأداء وهذا ما يعرف بالعناصر الصوتية الثانوية التي تصاحب الكلمة المفردة))[٢] .

وتعرّف أيضاً بأنّها ((هي التي تستمدّ من طبيعة بعض الأصوات))[٣] ومعنى هذا أن لبعض الأصوات في اللغة دوراً تؤديه في الكلمة وبعضها الآخر ليس له أي دور .

واعتنى ابن جني بدراسة الدلالة الصوتية قبل أن تتوسّع وتأخذ صداها في علم اللغة الحديث وذلك في باب امساس الألفاظ أشباه المعاني وباب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني فقد اكتشف وجود صلة بين الأصوات وبين ما ترمز إليها وأول ما هداه لتلك تسمية بعض الأشياء بأصواتها كالقهقهة (حكاية صوت الضحك) وغاق (حكاية صوت الغراب) .

وأول اشارة إلى هذا الموضوع كانت عند الخليل إذ قال:((كأنّهم توهّموا في صوت الجندب استطالة ومداً فقالوا صرصر))[٤] .وكان لسيبويه رأيٌ آخر فيه وهو دلالة الصيغ والأوزان بقوله: ((المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك النزوان والنقزان وإنّما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع ومثله العسلان والرتكان))[٥] .أي إنّ دلالة

الاضطراب في الصيغة قد جاء مراعاة لطبيعة معنى الكلمة التي جاءت للتعبير عن الاضطراب والحركة .

والنص محور التطبيق هو سورة مريم وهي مكية النزول أمّا عدد آياتها فاختلف فيه فهي في عدد أهل المدينة ومكة تسع وتسعون وفي عدد أهل الشام والكوفة ثمان وتسعون[٦] .وقد اشتملت هذه السورة على موضوعات التوحيد ورحمة الله لعباده والبعث والنشور ونفي الولد والشريك ومادتها القصص : قصة زكريا ويحيى ومريم وعيسى وإبراهيم وأبيه وكذلك فيها اشارة إلى قصص الأنبياء ومنهم :إسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس وآدم ونوح .

وقصصها كانت تحوم على فكرة خاصة تتصل بالإنجاب بنحو معجز يواكب ذلك حشد من الأفكار المتصلة بالدعاء وبرحمة الله تعالى إذ تنسحب هذه الأفكار على مجموعة القصص من جانب وعلى مجموع السورة من جانب آخر بنحو يكشف لنا جمالية مدهشة لهذه السورة وبناء محكم لها [٧].

ومن هنا ارتأى البحث دراسة الدلالة الصوتية في سورة مريم على نقاط بحثية هي :

١-التكرار :

عرّفه الجرجاني بقوله:((عبارة عن الاثبات بشيء مرة بعد أخرى))[٨] والتكرار ((أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة))[٩] . وهو أسلوب من الأساليب الشائعة في اللغة العربية ،وقد تعرّض له معظم النحاة والنقاد والبلاغيين[١٠] .

وذكر لنا ابن قيّم الجوزية التكرار من جهة حقيقته قائلاً: ((حقيقة التكرار أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أم يأتي بمعنى ثم يعيده، وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثاني[١١] .

وبرجوعنا إلى سورة مريم النص - محور التطبيق- نجد أن لفظ الرحمن تكرر ست عشرة مرة في السورة معظمه في خواتيمها وفائدته انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره وخلق لهم جميع متطلباتهم التي بها قوام معايشهم فهل اعتبر الإنسان؟ أم لا يزال الغطاء مسدولاً على عينيه والوقر يغشى أذنيه؟ فمن أضاف إليه ولداً جعله كالأناسي المخلوقة وأخرجه بذلك عن استحقاق هذا الاسم الجدير به وحده [١٢] .

ودلالة تكرار كلمة الرحمن في سورة مريم جاءت :

أ-لابراز صفة الوحدانية لله سبحانه وتعالى وذلك في قوله تعالى:(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا)(مريم/٨٨-٩٣) فقد تكرّرت كلمة الرحمن أربع مرات في الآيات القرآنية السابقة ففي الأولى ادعاء الولد لله تعالى أمّا الآية الثانية فهي اظهار شناعة هذا الادعاء لله ، وفي الآية الثالثة نفي هذا الادعاء نهائياً وبيّنت الآية الرابعة العبودية في أنّ كلّ من في السموات وما في الأرض لله تعالى واستقرارها في نفوسهم وتعليق أنظارهم بالله وحده وقلوبهم برضاه وأعمالهم بتقواه .

ب- اظهار الرحمة والمودة والمحبة في قلوب الناس ونفوسهم وذلك في قوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)(مريم /٩٦) فالسين في قوله تعالى مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكّد الوعد كما تؤكّد الوعيد في قولهم: سأنتقم منك يوماً أي أنك لن تفوتني وإن تباطأ ذلك [١٣].

في حين ذكر الرازي أنها تفيد التوكيد والمبالغة وذلك في قوله :(سيجعل لهم الرحمن وداً)[١٤] .وذهب ابن كثير إلى أنّه تعالى يغرس في قلوب عباده الصالحين مودة وهذا أمر لا بدّ منه نظير عملهم الأعمال الصالحة

التي ترضيه سبحانه لمتابعتها الشريعة السمحاء [١٥].

ج-اظهار مشاعر الخوف والموعظة والتذكير بالله وذلك في قوله تعالى:(قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) (مريم/١٨) إذ تمثّل لها المُسوّى أي التام الخلق للتناسب بين كمال الحقيقة وكمال الصورة ولتبيين عصمتها قالت(إني أعوذ بالرحمن منك ...) إذ لم يكن في صورته ما يكره حيث حسبته بشرا قد اختبأ لها ليراودها فبادرته بالتعوّذ منه قبل أن يكلّمها وجملة (إني أعوذ بالرحمن منك) خبرية أكّدت بحرف التأكيد أي أنها أخبرته بأنّها جعلت الله معاذاً لها منه أي ملجأ لها ممّا همّ به وهي موعظة له وقد ذكرت صفة الرحمن من دون غيرها من الصفات ؛ لأنّها أرادت أن يرحمها الله برفع من حسبته داعراً عليها.

أمّا قولها (إن كنت تقياً) فأنه تذكير له بالموعظة أن يتقّي ربه إذ جاء بصيغة الشرط المؤذن بالشكّ في تقواه لتهييج خشيته وكذلك مجيء فعل الكون الدالّ على أنّ التقوى مستقرة فيه وهذا أبلغ وعظ وتذكير وحثّ على العمل بتقواه [١٦].

د-الدلالة على سعة رحمته تعالى والجنة التي وعد بها عباده الصالحين إذ ذكر الرحمن هنا للاشارة إلى عظمة رحمته تعالى في الجنة وخلود المؤمنين فيها وذلك في قوله تعالى:(جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا) (مريم /٦١) وهذا ما أشار إليه السعدي في تفسيره

ثم ذكر أن الجنة التي وعدهم بدخولها، ليست كسائر الجنات، وإنّما هي جنات عدن، أي: جنات اقامة، لا ظعن فيها، ولا حول ولا زوال، وذلك لسعتها، وكثرة ما فيها من الخيرات والسرور، والبهجة والحبور(الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ) أي: التي وعدها الرحمن، أضافها إلى اسمه (الرَّحْمَنُ) لأن فيها من الرحمة والاحسان، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وسمّاها تعالى رحمته ... وأيضا ففي اضافتها إلى رحمته، ما يدلّ على استمرار سرورها، وأنها باقية ببقاء رحمته، التي هي أثرها وموجبها، والعباد في هذه الآية، المراد: عباد إلهيته، الذين عبدوه، والتزموا شرائعه، فصارت العبودية وصفاً لهم كقوله:(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ) ونحوه ، بخلاف عباده المماليك فقط، الذين لم يعبدوه))[١٧] . وغيرها من الآيات التي لا يسعنا ذكرها خشية الاطالة وضيق البحث [١٨].

٢-الفاصلة القرآنية :

ذهب الرماني إلى أن الفاصلة هي حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن افهام المعاني [١٩].وقال الزركشي:((الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع))[٢٠] .

وتؤدي الفاصلة دوراً مهماً في التناغم الموسيقي للنص فهي((قيمة صوتية ذات وظيفة تراعى في كثير من آيات القرآن ، وربما أدّت رعايتها إلى تقديم عنصر أو تأخيره من عناصر الجملة)) [٢١].

ومن ذلك الآيات التي جاءت أواخرها منتهية بياء مشدّدة يليها صوت الألف أو ما يسمّى الفتحة الطويلة للدلالة على السهولة واليسر التي تغمر آيات سورة مريم بما يتناسب مع معاني السورة المتمثّلة بشخصية مريم وابنها المسيح وغيرها من المعاني وذلك في قوله تعالى:(ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ

مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) (مريم / ٢-٣٣) فالكلمات (زكريا، وخفياً ، وشقياً ، ووليا ،ورضياً ،وسمياً ،وعتياً ،وشيئا ،وسوياً ،وعشياً ،وصبياً ، وتقياً ،وعصياً ، وحياً ،وشرقياً ،وسوياً ، وتقياً ،وزكياً ،وبغياً ،ومقضياً ،وقصّياً ،ومنسياً ،وسرياً ،وجنياً ،وانسياً ،وفرياً ،ونبياً) وُجد فيها تناغمٌ موسيقيٌ بارزٌ أوجدته الياء مع ألف المد وفي ذلك يقول سيد قطب:((والظل الغالب هو ظل الرحمة والرضا والاتصال فهي تبدأ بذكر رحمة الله لعبده زكريا (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) وهو يناجي ربه نجاء (إذ نادى ربه نداء خفياً) ويتكرّر لفظ الرحمة ومعناها وظلها في ثنايا السورة كثيراً ... وانك لتحسّ لمسات الرحمة الندية ودبيبها اللطيف في الكلمات والعبارات والظلال . كما تحسّ انتفاضات الكون وارتجافاته لوقع كلمة الشرك التي لا تطيقها فطرته كذلك تحسّ ان للسورة اً موسيقياً خاصاً فحتى جرس ألفاظها وفواصلها فيه رخاء وفيه عمق (رضياً ،سرياً،حفياً ،نجياً))) [٢٢].

فأمّا المواضع التي تقتضي الشدة والعنف فتجيء فيها الفاصلة مشدّدة دالاً في الغالب (ولداً ، وعهداً ،ومداً ، وفرداً) أو زاياً (عزاً ، أزّاً) وذلك في قوله تعالى:(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) (مريم /٧٧-٨٣) فقد جاء جرس الألفاظ و العبارات في الآيات السابقة ليصوّر لنا ظلال المشهد وجوّ السورة وما فيه من غضب وغيرة وانتفاض وإن ضمير الكون وجوارحه لتنتفض وترتعش من سماع تلك القولة النابية والمساس بقداسة الذات العليا كما ينتفض كل عضو وجارحة عندما يغضب الإنسان للمساس بكرامته لذا جاءت الألفاظ ب ها لترسم حركة الزلزلة والارتجاف [٢٣].

٣-الإيقاع الصوتي في سورة مريم :

يُعدُّ الإيقاع صورة للتناسق الفني في القرآن الكريم وآية من آيات الإعجاز المتمثّل في أسلوبه المتميّز

فالقرآن يحتوي إيقاعاً موسيقياً يؤدي وظائف جمالية رفيعة كما أن له نظاماً صوتياً وجمالاً لغوياً ينتظم تساوق حركاته وسكناته ومدّاته وغناته انتظاماً رائعاً .إذ نرى أن الجمال الصوتي هو أول ما التقطته الأسماع العربية من طريق انتظام الحروف وترتيب الكلمات وعرض المشاهد المختلفة والتجارب المتنوعة .

وقد عرّفه عبد الخالق العف بأنّه ((تنظيم لأصوات اللغة في أزمنة محددة وتوظيف لقيم هذه الأصوات وخصائصها النوعية)) [٢٤].

وممّا ورد من صوتي في سورة مريم الأصوات الثلاثة (الألف والواو والياء) التي جاءت للتعبير عن معاني الحزن والخوف والضعف في قوله تعالى:(ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) (مريم/ ٢-٤) فقد بدأت السورة بالحديث عن رحمة الله قبل دعاء زكريا الذي ترتّب عليه ابراز مفهوم رحمة الله متمثّلة في اجابة طلب زكريا فاظهار ضعفه جاء متوافقاً مع الياء المشددّة (خفيّاً ، وشقيّاً)التي أظهرت معاناة زكريا أثناء مناجاته لربّ العزة والذي زاد هذه المناجاة الألف ال ة بعد الياء بما أضفته من نعومة وليونة إذ جاء هذا مناسباً لحال زكريا حيث كان يدعو ربه بشكل خفّي فيما بينه وبين نفسه بأنه قد ضعف بسبب كبر سنه الذي جاء بلغة صورية وليس بلغة مباشرة أي من خلال عنصر الصورة الفنية وهي اشتعال الرأس شيباً فالاشتعال يرتبط بهدير أو بحركة صوتية ذات دلالة من حيث العنف والقوة والفاعلية والرهبة التي تنطوي عليها عملية الاشتعال حيث انسحبت هذه الحركات على طبيعة الاستجابة النفسية لصاحبها ممّا تحمله على الاهتمام بها وجعله مركزاً لتفكيره وهذا ما لاحظناه من خلال الطريقة التي تحدّث بها زكريا مع الله تعالى ونقصد بها دعاءه المصحوب بالتفصيل لظاهرة كبر السن مثل قوله (وهن العظم مني) ثم قوله (واشتعل الرأس شيباً) إذ جمع بين ضعف القوى البدنية من جانب وهو وهن العظم وبين الرمز المؤشر إلى كون العمر قد بلغ مرحلته الأخيرة من جانب آخر وهو اشتعال الرأس شيباً [٢٥].كذلك كان للنون والتنوين دور كبير في هذه السورة لما فيهما من الغنّة التي لها وقع جميل على السمع فضلاً عن الحركات القصيرة والطويلة وحروف العلة (الألف والواو والياء) بما فيها من جمالية ودلالة موسيقية تقرّب المعنى وتشدّ الذهن وتؤثر في النفس فالحركات ((التي تدخل في الصيغ ومباني الكلم ؛ لتفرّق بينها وتميّز أجناسها وتلك غاية في الدلالة ...من أنها تمدّ الكلام وتراكيبه بألوان من الأنساق الموسيقية المتناسبة فيتآلف الكلام أصواتاً وألفاظاً وصيغاً وتراكيب والحركات بعض الأصوات فإذا هو مثل الماء الجاري في جداول وسواق لا يعيقه شيء ...)) [٢٦].

وهذا ما وجدناه في قوله تعالى:(يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) (مريم/٧-١٥) فالحركات الثلاث الفتحة والضمة والكسرة على الرغم من صغرها لها دلالات موسيقية مختلفة تترك لها الأثر الواضح حين ننطق بها وخاصة الفتحة سهلة النطق والواضحة في السمع في الكلمات (يا ، يحيى

، قال ، هين ، الناس ، الكتاب ، الحكم ،يوم) وكذلك تنوين الفتح الذي كان له النصيب الأوفر في هذه السورة المباركة في الكلمات(سمياً ،عاقراً ، عتياً ،شيئاً ، سوياً ،عشياً ،صبياً ،تقياً، عصياً ،حياً) وتنوين الكسر في (بغلامٍ ، ليالٍ) وتنوين الضم في (غلامٌ ،هينٌ ،سلامٌ) فالتنوين له وقع مؤثر على الأذن لما يمتاز به من جمال موسيقي و ي وخاصة تنوين الفتح وكذلك حروف العلة وما ينتابها من قلب وابدال وادغام وتأثير ذلك على الصوتي للكلمة فالتنوين((يمثّل رنة تُحدِث قوة إسماع حاملة ترديداً زمنياً طويلاً)) [٢٧].

من ذلك قوله (سميّاً) أي السميّ : المسمّى وهو فعيل بمعنى مفعول أصله سميو اجتمعت فيه الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياءً وأدغمت فيها الياء و((السميّ: فعيل صرف من مفعول إليه)) [٢٨]

وعصياً : وهي صيغة مبالغة أصلها عصييا بوزن فعيل قد أدغمت الياء فيه وجيء بصيغة المبالغة لمراعاة الفواصل ؛ لأن المنفي أصل العصيان لا المبالغة فيه. ويحتمل أن يكون أصل عصياً (عصوياً) كصبور ، أي كثير العصيان [٢٩].

والعَصِيُّ :العاصِي ويراد به وصفه بالتواضع ،وليّن الجانب ،وذلك من صفات المؤمنين ، وهو أبلغُ من العاصي ، كما أن العليمَ أبلغُ من العالم [٣٠] .

الخاتمة

من أبرز النتائج التي توصل إليها البحث الآتي:

١- أكّد البحث على أنّ القرآن الكريم بما يحويه من قصص وأحداث وشخصيات ما زال مشوّقاً يجذب النفوس ويأسر الألباب.

٢- وجد البحث إنّ هناك تناسباً واضحاً بين الجانبين الصوتي والمعنوي بحيث لا يمكن لأية كلمة أنْ تحلّ مكان الأخرى.

٣- يُعدُّ الموسيقي صورة من صور الإعجاز القرآني الواضح في أسلوبه المتميز مؤدياً وظائف جمالية رفيعة كما لمسناها في سورة مريم .

٤- جاءت الفاصلة القرآنية في آيات سورة مريم المباركة للتعبير عن المعاني المختلفة التي تحويها السورة والمتمثّلة بقصة مريم وابنها المسيح والقصص الأخرى ومنها قصة زكريا ويحيى وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس وآدم ونوح .

٥- وجد البحث أن التكرار كان ركناً أساسياً من أركان الجمال الذي فاض بالسورة المباركة والذي تحسسّناه ولمسناه فيها من خلال ما تتركه اللفظة المكرّرة من أثر انفعالي في نفس المتلقي.

٦- حرص البحث على بيان التكرار وما يحمله من دلالات مختلفة في سورة مريم وهي ابراز صفة الوحدانية لله سبحانه وتعالى، واظهار الرحمة والمودة والمحبّة في قلوب الناس ونفوسهم ، وابانة مشاعر الخوف والموعظة والتذكير بالله ، والدلالة على سعة رحمته تعالى والجنة التي وعد بها عباده الصالحين

الهوامش

١- ثواب الأعمال:الشيخ الصدوق / ١٣٧

٢- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية :محمود عكاشة /١٧، ١٨ ، بحث (الدلالة الصوتية عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص:بوزيد ساسي هادف ،مجلة حوليات التراث ،ع ٩، للسنة ٢٠٠٩م / ١٠٣

٣- معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب :مجدي وهبة وكامل المهندس /٩٥ ،وينظر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية :صالح سليم عبد القادر /٤٧

٤- الخصائص١٥٢/٢ ، وينظر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية/٥١

٥- الكتاب ١٤/٤

٦- ينظر:التحرير والتنوير ٥٨/٧

٧- ينظر:التفسير البنائي للقرآن الكريم / محمود البستاني ٦٩/٣

٨- التعريفات /١٣

٩- الإتقان في علوم القرآن: ٦٦/٢.

١٠- ينظر : مجاز القرآن: ١/ ١٢ ،والبيان والتبيين: ١٠٥/١.

١١- الفوائد المشوق: ١٥٩.

١٢- ينظر: إعراب القرآن وبيانه : محيي الدين الدرويش ١٥٦/٦

١٣- ينظر: الكشاف ٤٤٧/٢

١٤- ينظر: تفسير الرازي٩٣/٨

١٥- ينظر: تفسير ابن كثير ٢٦٧/٥

١٦- ينظر: التحرير والتنوير٤٥٨/٨

١٧- تفسير السعدي٣٧٨/٧

١٨- تنظر سورة مريم : الآيات/ ٢٦، ٤٤، ٤٥، ٦٩، ٧٥، ٧٨، ٨٥، ٨٧

١٩- ينظر:النكت في اعجاز القرآن /٩٧

٢٠- البرهان في علوم القرآن ٥٣/١

٢١- البيان في روائع القرآن: تمام حسان/٢٨١

٢٢- في ظلال القرآن ٨٧/٥

٢٣- ينظر: المصدر نفسه١٠٨/٥

٢٤- التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر : عبد الخالق العف /٢٤١

٢٥- ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم : محمود البستاني ٦٩/٣، ٧٠

٢٦- وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن :محيي الدين رمضان /٣٠

٢٧- بناء الجملة في شعر الدكتورة طلعت الرفاعي:منيرة محمد علي حجازي /٢٩٠

٢٨- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن :الطبري ٢٣٩/٣

٢٩- ينظر:جامع البيان ١٤٠/١٨،أضواء البيان في تفسير القران بالقران ٤٤٣/٣، اللباب ٣٤٢/١١

٣٠- ينظر:اللباب ٣٤٢/١١

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، تحقيق مصطفى ديب البُغا، ط٢ ،دمشق: دار ابن كثير، دار العلوم الإنسانية، ١٩٩٣م

٢- إعراب القرآن وبيانه : محيي الدين الدرويش ،اليمامة للطباعة والنشر ، بيروت

٣- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، مكتبة الخانجي ، القاهرة / ١٣٩٧ ه ــ ١٩٧٧ م .

٤-بناء الجملة في شعر الدكتورة طلعت الرفاعي:منيرة محمد علي حجازي ، مكتبة الثقافة الدينية ،د.ت.

٥- البيان في روائع القرآن : تمام حسان ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع / ٤٠٠ هـ -١٩٨٠م .

٦- البيان والتبيين : الجاحظ ، تحقيق درويش جويدي ،ط١/١٩٩٩

٧- التحرير والتنوير :ابن عاشور ، مكتبة الرسالة ، مصر / ١٩٧٨ .

٨- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية :محمود عكاشة ،ط١،دار النشر للجامعات /٢٠٠٥م

٩- التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر : عبد الخالق العف ،ط١،مطبوعات وزارة الثقافة /٢٠٠٠م

١٠- التعريفات : الجرجاني ، تحق نصر الدين تونسي ،ط١، القاهرة /٢٠٠٧م

١١- تفسير ابن كثير وهو تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق سامي بن محمد سلامة،ط٢،دار طيبة للنشر والتوزيع/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

١٢- التفسير البنائي للقرآن الكريم :محمود البستاني،ط١،مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة ،مشهد /١٤٢٣هـ.

١٣- تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان):عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،ط١ ، مؤسسة الرسالة/ ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

١٤- تفسير الميزان: العلامة الطباطبائي منشورات دار الروضة ، بغداد /١٩٨٨م

١٥- ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق، ط٢ ،تحقيق: تقديم : السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان/ ١٣٦٨ هـ

١٦- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة/ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

١٧- الخصائص : ابن جني أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ) تحق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان / ١٤٢٤ه-٢٠٠٣ م .

١٨- الدلالة الصوتية عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص(بحث منشور): بوزيد ساسي هادف ،مجلة حوليات التراث ،ع ٩، للسنة ٢٠٠٩م .

١٩- الدلالة الصوتية في اللغة العربية :صالح سليم عبد القادر ،المكتب العربي الحديث ، الإسكندرية

٢٠- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان :ابن القيم الزرعي شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب (ت ٧٥١ هـ) ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان / ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨م .

٢١- في ظلال القرآن : سيد قطب ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت
٢٢- الكتاب: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة / ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .
٢٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان / ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .
٢٤- اللباب : ابن عادل ، ، ط١ ، مطبعة السعادة ، مصر / ١٩٧٣ م .
٢٥- مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ) ،عارضه بأصوله وعلق عليه الدكتور محمد فؤاد سزكين ، ط ١ / ١٣٧٤هـ-١٩٥٤م .
٢٦- معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب :مجدي وهبة وكامل المهندس ،مكتبة لبنان /١٩٧٩م
٢٧- النكت في إعراب القرآن ، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن: الرُمانيّ أبو الحسن ، تحقيق محمّد خلف الله أحمد ومحمّد زغلول سلّام، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٩٨٦م.
٢٨- وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن :محيي الدين رمضان،ط١ ، دار الفرقان ،عمان /١٩٨٢م